من يقرأ لوكريتيوس؟

فوزي كريم

إنني على وعي تماماً بمدى الصعوبة
في أن تعيد إلى الضوء، بواسطة الشعر اللاتين
كلَّ مكتشفات اليونان العميقة.
أعرف أن مصطلحات جديدة يجب أن تستحدث
لأن لساننا فقير، وهذي المعاني جديدة عليه.
ولكنني مقتنع، بفضل تفوقك
وبفضل ما تنطوي عليه صداقتنا
من توقع أثير لاحتمال أي جهد
بأن أواصل مراقبتي
عبر الليالي الهادئة، باحثاً عن كلمات
عن أغنية تنير العقل
بذلك الضوء الرائع الذي به تستطيع
أن ترى أشياء عميقة الخفاء...

هذا المقطع للشاعر. الفيلسوف الروماني لوكريتيوس (55.95 ق. م)، من قصيدته الفلسفية الشهيرة "في طبيعة الأشياء"...، وهي قصيدة تنطوي على خلاصة الفكر الأبيقوري. وهو مقطع مثير يعنيني في حديثي هذا، على أن القصيدة الفلسفية بمجملها أكثر إثارة. لك أن تتخيل أنه كتب من قبل شاعر عربي هذه الأيام، يتحدث فيه عن اللغة العربية (أو الشعر العربي) بدل الشعر اللاتيني، وعن صعوبة إعادة كل مكتشفات الغرب العميقة (بدل مكتشفات اليونان) الى الضوء، عن طريق هذا الشعر العربي (لا اللاتيني). ولك أن تتخيل أن الشاعر العربي يعيش نفس المأزق الروحي للشاعر الروماني العظيم، أمام الحاجة للمصطلح الجديد، وأمام اللسان الفقير الذي تستعصي عليه المعاني الجديدة. لك أن تتخيل شاعراً عربياً يرتفع الى مصاف الإحساس بالمأزق، حيث يعرف بعمق وبصدق فقر لسانه أمام فيض المعاني الجديدة، التي يعيش في بحرانها الغرب.

هذا المقطع رائع في الكشف عن المأزق الثقافي للشاعر الروماني. هذا الشاعر الروماني عميق الصدق، والثقافة، والإحساس بالمسؤولية، ولا يجد فاصلاً بين مأزقه الثقافي وبين سعيه الملزم لتجاوز المأزق، بفاعلية احتمال الجهد، أي جهد، في أن يواصل مراقبته، عبر الليالي الهادئة، باحثاً عن كلمات، عن أغنية تنير العقل بذلك الضوء الرائع.. ، وهو يقصد ضوء عطايا الحضارة اليونانية.

مادة المقطع الشعري تكاد تصلح بصورة دقيقة على مأزق ثقافتنا العربية ومأزق روحنا. ولكن ثمة فارق عميق مؤسف بين لوكريتيوس والشاعر العربي. فالأول، وهو يعيش مأزق قصور لسانه (لغته) عن المعاني الجديدة، يعرف هذا المأزق، ولا يحب أن يغفل عنه. ولذا فهو مناضل في البحث عن أغنية تنير العقل. في حين يعيش الشاعر العربي ذات المأزق في قصور اللسان، ويكاد يعرفه، ولكنه يغفل عنه، بإرادة العاجز أو المكابر، ولذا لا يعنيه البحث عن أغنية تنير العقل. إنه يفضل أن يتوهم تكافؤاً مع الغرب يغنيه عن الاعتراف بالقصور، ويعفيه من مشاعر الذنب الثقيلة.

وبدل أن يدفعه قصور اللسان الى الاعتراف المتواضع، شأن لوكريتيوس، ثم البحث الشاق عن الإضاءة من المعاني الجديدة، تراه مدفوعاً، بفعل عقدة النقص، الى التسامي عن مأزق القصور، وإيهام النفس بمأزق التفوق. ولذا تراه ما بعد حداثي، وبامتياز!

المثقفون العراقيون

(ذئاب براري) هرمان هيسة في القرن الواحد والعشرين

علي عبد العال*

ليس فقط أنني أمتلكها وأحتفظ بها في مكتبتي منذ أكثر من عشرين عاما، وليس فقط أنني، وعلى الرغم من ذلك، اشتريتها واقتنيتها مجددا من مكتبة ما في الشام في طريق عودتي من العراق مؤخرا. ذلك أنني لم أقاوم سحرها، وهي تعود بذاكرتي الى الوراء، الى تلك الأزمان الأكيدة والحقيقية، أزمان الحرية والفرح والبناء والتأسيس والمغامرة. بل الذي أدهشني حقا أنني شرعت بقراءتها بلذة وشغف يشبه ذلك الاندهاش الأول. كنت أقرؤها وأكتشفها من جديد وكأنما أفعل ذلك للمرة الأولى. انها رواية "ذئب البراري" لهرمان هيسة.

أحببت هذه التسمية من بين التسميات الأخرى التي رأى فيها المترجمون عنوان الرواية، كـ "ذئب السهوب" و"ذئب البوادي"، وأيضا "ذئب البراري". الذي اكتشفته خلال القراءة الأخيرة، وفي ظل هذه الفترة الزمنية الفصلية المعقدة من التاريخ التي يمر بها العراق والعراقيون أن المثقفين العراقيين هم "ذئاب براري" هرمان هيسة في القرن الواحد والعشرين. ولا ينطبق هذا التوصيف على أي فئة بشرية متجانسة تعيش على سطح الكرة الأرضية برمتها مثلما ينطبق على المثقفين العراقيين. (أرجو ألا يظن من لم يطلع على الرواية أن في هذا ذما للمثقف العراقي، العكس هو الصحيح، إنه مديح من الطراز الرفيع يستحقه عن جدارة المثقف العراقي الحقيقي، ونستثني بالطبع كثرة المهرجين الزاهية مثل رمال الشواطئ الجميلة).

فكرة الرواية، باختصار شديد، تدور حول رجل مثقف ومفكر إنساني كبير تجاوز منتصف العمر اسمه "هاري هالر" يجد نفسه، والعالم تحيط به أجواء الحرب العالمية الثانية التي مركزها وقطبها الأول بلاده. ألمانيا، يجد نفسه منسلخا عن شعبه وعن واقعه وعن زمانه وعن مكانه. ويكتشف بداخله صفات تشبه صفات الذئب الحر الطليق في البراري. هذه الرغبة بالعودة إلى الطبيعة والحرية التي ابتعد عنها الإنسان مرغما، ومقدار العبث في محاولة الرجوع إليها أو بلوغها من جديد. تلك الاستحالة التي تشبه استحالة العودة إلى رحم الأم. إنها رواية عن صراع العناصر المتضادة التي تتكون منها روح الإنسان الواعي، المثقف، المفكر، الأديب.

في كل سطر من الرواية كنت أحدث نفسي وأقول، لقد أصبحنا نحن المثقفين العراقيين "ذئاب براري" في مطلع القرن الواحد والعشرين. وكنت أعني ذلك النفر المنفي الأزلي من المثقفين العراقيين، الذين ما زال القسم الأعظم منهم يعيش على هامش الحياة في بلدان اللجوء الأوروبية، وغيرها. بعيدا عن المشاركة الحقيقية في حياة تلك البلدان الغريبة. وحتى في حال المشاركة فهي تظل مجرد "تقديم صورة" وليس "حياة فاعلة" في روح الوجود والكينونة والتاريخ. كأنما ليس لدينا وطن كبير وعريق ضحينا من اجله طوال ربع قرن بكل ما نملك ولا نملك. على الأقل ضحينا بأعمارنا التي أهدرت من دون ثمن ولا حساب.

وها نحن عدنا أفرادى إلى وطن يبدو أنه كان في المخيلة أثبت مما هو عليه في أرض الواقع. وطن تحت الاحتلال إلى درجة تجعلك تشعر بالخجل بعد كل هذا الزمان. ولا أريد الخوض بالسبب والمسبب في ما آل إليه هذا المآل، لأن هذا الموضوع ليس من اختصاص هذا المقال.

قرأت شهادات الأصدقاء والزملاء الذين عادوا إلى وطنهم العراق بعد غربة طويلة، وأنا منهم، وكان القاسم المشترك الأعظم الذي وحد تطلعاتهم الاغتراب في الصميم. كما يذكرنا بيت للشاعر الألماني الكبير هلدرلين حين قال، "عدت إلى أهلي وأنا غريب بينهم" وقد سبق وأن اقتبست هذا البيت في الانطباع الذي كتبته بعد عودتي خائبا من وطني إلى "منفاي القديم" من جديد.

لم يكن ألمي في الخروج الأول من العراق قبل حوالي الربع قرن ليشبه هذا الألم الممض الذي واكب روحي ومشاعري في هذه العودة الطوعية التي أرجعتني للمنفى طالما كرهت العيش فيه بشكل جوارحي. خلقت لي مشاكل حياتية تكاد أن تكون يومية تبدأ بالقرف من العمل في هذه البلدان مهما كانت المهنة التي اشتغلت فيها رفيعة وشريفة، وليس انتهاء بدوامة الأفكار والانتظار العقيم الذي تصحبه الكآبة وانعدام البهجة، والقلق المهدم لجميع الطموحات الصغيرة منها والكبيرة التي يمكن للإنسان الطبيعي أن يخلقها في حياته. فكل شيء كان معلقا بـ "العودة النهائية إلى الوطن". ربما يعود سبب ذلك كما فكرت في البداية وأنا أحاول التغلب على الكآبة التي كانت تبث شحناتها القوية في أفكاري ومزاجي العام. ربما كان مبعثها ومبعث هذا الحزن متأت من كوني كنت أمتلك أسبابا وجيهة حين غادرت وطني في المرة الأولى. الأسباب كانت واضحة، الظلم والاضطهاد وغياب الحريات، أبسط أنواع الحريات. لكن لماذا أرحل الآن وقد عدت؟ لماذا أعود للمنفى من جديد؟ لماذا لا أبقى في بلدي ووطني بعد كل هذه السنين الطويلة من العذاب والحنين؟ من الذي يرغمني ويرغم غيري من الأدباء والفنانين والناس الآخرين على تفضيل العيش في المنفى الكريه الذي لم أستأنس له كل هذه السنين؟

يمكن اختصار الإجابة على هذه الأسئلة الصعبة بعبارة واحدة، لأنه لم يعد لنا نحن "ذئاب البراري" من وطن حقيقي سوى البراري، براري الحرية، (اللاوطن) و(اللاانتماء). ويمكن التمحيص بالجواب قليلا والدخول في دوامات لابد لنا من الدخول فيها وخوضها كي نطلع على الحقائق الغريبة التي أدت بالمثقف العراقي إلى هذا المأزق الغريب وما هي المنافذ التي يمكن فتحها لتنفس نفحة من الهواء النقي.

وأنا أكتب هذه السطور لم تغب عن فكري حياة وموت المفكر إدوارد سعيد. إنها أمثولة واقعية قريبة تكشف لنا حجم التراجيديا الكبير وحجم الدراما في مأزق حياتنا الراهن كوننا عراقيين. حافظ إدوارد سعيد حتى الموت على أن يكون فلسطينيا. لكن هل كان حقا كذلك؟ نعم كان كذلك، لكن بمجرد الاسم بمجرد الهوية التاريخية، بمجرد "الأصل" وليس "العقل". اشتهر العرب القدماء بحفظ السلالات وتصنيف الأعراق. إدوارد سعيد، وضمنا، الروائي اللبناني الأصل أمين معلوف هما العربيان النادران اللذان تجلى بهما هذا "الكروموسوم" العجيب في أصول الوراثة. وكانت تجاربهما العظيمة الغنية أنهما أغنيا مجتمعهما الجديد، بينما ظلا وفيين لمجتمعهما القديم، الغابر، الموجود في مواضع أمينة من الذاكرة والتواريخ الشخصية.

إدوارد سعيد "معجزة" روحية وفكرية بهذا الخصوص، ربما يمكننا الإفادة من تجربته الغنية. لكن هل كل الناس عباقرة ويدخلون التاريخ بكل هذا التصميم والعناد كما فعل إدوارد سعيد؟ كلا، يجب الإفادة من تجربة سعيد بطريقة أخرى. طريقة تضمن كرامة "البلد، الوطن الأصلي" ومن شأنها ضمان كرامة "الفرد، المواطن" المنتمي إليه.

أبناء وطني يحاربون "الاحتلال الأمريكي" الآن، هذا أمر عظيم. وقد حمل المثقفون السلاح أيضا لمحاربة الدكتاتورية طوال ثلاثين عاما. الاحتلال الأمريكي كواقع عسكري سوف لن يدوم في العراق ولا في أي بلد آخر. يمكن التذكير هنا بما حدث للأمريكان في لبنان والصومال وفق أبسط التقديرات السياسية التي نعرفها جيدا. إنه "الاحتلال" سيدوم بطريقة أخرى، كما كان في السابق أيام العهد الدكتاتوري والعهود التي سبقته. يدوم على شكل مصالح اقتصادية مضمونة ومستقرة، ولا نريد الذهاب أبعد من ذلك. هذا واقع معروف في السياسة والاقتصاد مهما أكثرنا الدوران حول أنفسنا. دول الخليج برمتها ومصر والعالم العربي والعالم الثالث يدور في الفلك الاقتصادي والعلمي (الجيو سياسي) الأمريكي والأوروبي. وحتى هذا الوقت الطارئ من التاريخ الواضح العالم، ليس لدينا نحن العرب أي منظومة متكاملة، لا فكرية ولا اجتماعية واضحة العالم نواجه بها هذا الواقع ولو على الصعيد النظري. كل ما نملكه هو "شعارات" ضد الإمبريالية والرأسمالية وأحيانا الشيوعية.

الاحتلال الأمريكي للعراق ليس كالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. إنه أمر مختلف تماما. الاحتلال الإسرائيلي في فلسطين "احتلال استيطاني". بينما الاحتلال الأمريكي للعراق هو "احتلال عسكري" هدفه الأول الاقتصاد بكل ما يعنيه الاقتصاد من هيمنة على الجغرافيا ومناطقها الحيوية. بهذا المعنى كان العراق محتلا منذ تأسيسه كدولة مطلع العشرينيات من القرن الماضي. بالضبط كباقي دول المنطقة. ذهب الاحتلال البريطاني والفرنسي ليحل محله المحتل الأقوى، أمريكا.

بهذا المعنى الدفين كنا بلا وطن منذ عقود من السنين. وهذا هو الواقع الحقيقي الذي يصعب علينا دوما الاعتراف به. والا لماذا يجد المثقفون العرب، وغيرهم من العالم الثالث، ومن شتى المشارب والعقائد الأيديولوجية المختلفة أنفسهم يهيمون بالمنافي حتى قضوا فيها روحيا وجسديا وصارت هي مثواهم الأخير، وليست أوطانهم "الحبيبة" كما يمكن أن يفترض المرء.

عاد المثقف والأديب العراقي إلى دياره بعد زوال الدكتاتورية، لكن لم يكن "العود أحمد". لقد صدم فيه الإنسان، وصدمت فيه الشاعر، بصدمة الواقع المرير. هنا نعود إلى صياغة الأسئلة الجدية من جديد، لماذا حدث ويحدث ذلك؟ أين ذهبت أحزاب المعارضة الوطنية العراقية وتلاشت وتبخرت واختصرت وجودها وتاريخها الطويل أو القصير تحت راية الأمريكان؟ لماذا "رمتنا" القيادات السياسية إلى المجهول ولم تركبنا في مركباتها، ولم تلحقنا بقوافلها وأيلها ونوقها وسياراتها الفارهة؟ لماذا لم يسألنا أحد؟ لا قائد ولا رفيق ولا زميل مهنة كان له "شرف" اللحاق بالركب قبل غيره. هنالك من الأدباء العراقيين الساكنين من شعروا بالذعر لضياع المناصب في دولة "الخروف الأبيض" الجديدة فاتصلوا مباشرة بالأمريكان، بل وأكثر الأمريكان تخصصا وبعيدا عن الإدارات الديمقراطية الزائلة. ففتحوا خطوطهم مباشرة مع المؤسسة "الثابتة"، وليست المؤسسة "المتحولة"، مباشرة مع مندوبي وكالة الـ CIA حيث إن الأمر والعمر لا يستوعبان المزيد من الانتظار أو المزيد من "الأخطاء البدنية" الجديدة. يكتبون موادهم العسيرة تحت أسماء مستعارة، ولا نعرف لماذا يفعلون ذلك، هل هو من "باب الخجل" أو من "باب الخوف"؟ الخجل من تاريخهم الشخصي، أم الخوف من التاريخ؟

بالرغم من ذلك عاد الكثير منا الى منافيهم من جديد. لماذا؟ لأن الوطن لم يكن هو ذاته الوطن الذي مكث في الذاكرة البعيدة عندما كانت ناصعة وشديدة النظافة. زمن مر به حاكم مختلف غير جميع مجريات التاريخ وغير موازين القوى الاجتماعية وعناصرها الداخلة في تكوين المجتمع العراقي، وأوقف "التاريخ" عند حد معين ليس بالإمكان تجاوزه. حاكم عبَّد طرقاته وعبَّد شوارعه وعبَّد نفوس أبنائه وعبَّد أسطح منازله وعبَّد أهواره وعبَّد بساتينه وعبَّد شعره ورواياته وقصصه وعبَّد جيشه وعبَّد نفطه وعبَّد قومياته وأثنياته وأديانه. وطن تم مسخه وتعبيده من جديد وفق ذهنية مريضة، خاوية من الإبداع، وفي أحسن الظروف ضعيفة الخيال، يلاحقها ماض سقيم مشبع بالمهانة والإذلال. (نستعمل هنا فعل "عبَّد" بمعنى مسح وأزال وسوى على هواه).

الأوضاع السياسية المعقدة للمعارضة العراقية في الداخل وفي الخارج، مضافا إليها الإجراءات السياسية والعسكرية الدولية التي اتسمت بصبغة عالية "قوات التحالف". كل هذه العناصر تشكلت سريعا في إطار خلطة غير متجانسة وفي ظرف عالمي متوتر "أجواء 11 أيلول، سبتمبر والحرب العالمية الثالثة على الإرهاب" ليتم إقصاء صدام حسين وتشكيلات قواه الوحشية من السلطة وسط دهشة، وأحيانا "فرح" المثقف العراقي الأعزل. سبق ذلك وبشكل غير محسوس "إسقاط" المثقف العراقي من المعادلة كما يمكن أن تستغني مجموعة عسكرية عن خيمتها بعد أن استولت على القصور المنيفة. في المنفى كان هذا المثقف هو الأداة الحية والفاعلة في نشر الوعي الديمقراطي والوعي الوطني وتأسيس الصحف المعارضة وتولي إدارتها و"تسويد" صفحاتها وأعمدتها بحبر قلمه ودماء وقته المذبوح وعرق جبينه. لكن فجأة لم يعد له وجود. فقط نفر قليل مرتبط بـ "أعلى" القيادات هم من تسلل الى الوطن خلسة، واليوم يكتبون بأسماء مستعارة، والبعض منهم عاد إلى منفاه مرة أخرى وأصدر البيانات احتجاجا.

لكل كابوس نهاية، ولكل حكم نهاية، ولكل معاناة نهاية. إلا كوابيس ومعاناة المثقفين العراقيين فإنها تبدو من دون نهاية. إذ يجد المثقف العراقي نفسه في وضع غريب وملتبس. فهو يتلقى الدعوات من أقرانه العرب "أصحاب المهرجانات القومية" السابقة لمقاومة الاحتلال الأمريكي. وإذ يكون قد ملّ من النضال، وملّ من هذا الكلام، كلام الحق الذي يراد به باطل، فهو يتعرض للازدراء. هاهم قادته ركبوا الموجة وتركوه على قارعة الطريق. لم يفكر أي من الأحزاب العراقية، لا العريقة منها ولا الحديثة التكوين بتنظيم "رحلة" استطلاعية لهذا النفر من المثقفين الذين يمكن إحصاؤهم في المنافي الأوروبية وعدهم واحدا تلو الآخر. لا نقول ذلك كي نخلط الحابل بالنابل، ولنضع الفكرة على هذا النحو، لكل حزب عراقي مثقفيه المحسوبين عليه والذين أفنوا أعمارهم وهم يخدمون في صفوفه، وهذا لا سبيل إلى نكرانه. لماذا لم يفكر هذا الحزب أو ذاك بتنظيم رحلة، أشبه ما تكون بعودة تكريم، لهؤلاء المثقفين، وبالتالي يترك الخيار لهم في حال البقاء أو العودة؟ وكان سابقا تم تنظيم مثل هذه الفكرة في الذكرى المئوية للشاعر العراقي والعربي الكبير محمد مهدي الجواهري؟

أين حقوق هذا المثقف وقد خسر كل شيء؟ هل سيعود ويطالب براتبه التقاعدي من الأمريكان؟ وكنت التقيت في دمشق برائد القصة والرواية العراقية وهو رجل جليل قطع من العمر أشواطه الكبيرة لنجلس ونتحدث، ليس عن شؤون الإبداع والرواية والكتابة والمستقبل، وإنما عن لقمة العيش ومصدر الرزق الذي قطعته عنه الدولة المجرمة سابقا وهو في تونس، وها هي الدولة الجديدة طور التكوين لا تجد الوقت للنظر في مثل هذه الأمور "الثانوية".

في كل زمان ومكان يوجد الطبالون والزمارون والمهرجون من كل الأنواع والأشكال، لكن أين منهم والمنتجين الحقيقيين للثقافة ومثلها السامية. ثقافة العلم والإنسان، ثقافة بناء الوطن من جديد على أسس متينة من الديمقراطية والحرية والإبداع وضمان كرامة الفرد وشرفه ومعناه في الحياة؟

حتى متى يبقى المثقف العراقي الأصيل "ذئب براري" ليس له مأوى حقيقي، ليس له وطن واضح وشجاع وأمين ينتمي إليه؟ هل يمكن لمجلس الحكم الانتقالي في العراق، وعلى الأخص وزير الثقافة الجديد السيد مفيد الجزائري النظر بهذا المأزق الذي يعاني ويلاته المثقف العراقي المنفي الذي فقد جميع حقوقه المدنية وهو يجوب المنافي من دون أفق أو ضمان؟ ليسأل السيد الوزير نفسه وحكومته، أين وكيف يعيش مبدع عراقي رائد وكبير مثل فؤاد التكرلي، ومثله العشرات؟ هؤلاء لهم حقوق في وطنهم نالوها عن جدارة وخدمة طويلة، فمن له الحق بسلبها منهم؟ لا نريد من هذه الدولة الوفاء والتكريم، نريد فقط الحقوق*

* كاتب عراقي مقيم بالسويد

موت اكسندر دوماس القرن العشرين روبرت ميرل

عرف الروائي الفرنسي روبرت ميرل بقدرته السردية العالية وسلاسة اسلوبه مما اهله الى الحصول على جائزة الغونكور عام 1949 والجائزة الكبرى لمدينة باريس عام 1977، ولاقت سلسلة رواياته التأريخية. ثروة فرنسا نجاحاً كبيراً أطبع منها خمسة ملايين نسخة، استحق بعدها لقب سيد الرواية التأريخية. ولقد اطلق عليه الالمان لقب: اكسندر دوماس القرن العشرين.. غير انه كان يعارض هذا اللقب خوفاً من ان يحسب رجل تأريخ اكثر من ان يعرف رجل ادب!

ولد الروائي الفرنسي الكبير روبرت ميرل في 18/آب/1908 بمدينة تيبيسا الجزائرية وكان والده يعمل ضابطاً في الجيش الفرنسي.. ولشدة حبه للمعرفة حصل مبكراً على شهادة الفلسفة وشهادة التقدير باللغة الانكليزية ثم شهادة الدكتوراه في الادب، ونال العديد من الجوائز الادبية التي لم يسع اليها ابداً. ولقد خصص روبرت ميرل اطروحته عن اوسكار وايلد، قبل ان يدخل سلك التعليم في الثلاثينيات من القرن الماضي.

التحق ميرل بالخدمة العسكرية عام 1939 اثناء الحرب العالمية الثانية وتم اسره في منطقة (دنكيرك) عام 1940، وبقي في الأسر حتى عام 1943 وكانت تلك الفترة العصيبة تجربة قاسية اثرت به كثيراً، لكنها في الوقت نفسه الهمته اول رواية له وهي: (عطلة نهاية الاسبوع في زويدكوت) والتي استحق عليها جائزة الغونكور عام 1949، واصبحت مادة سينمائية لفلم من اخراج هنري فيرنوي عام 1964.

عمل روبرت ميرل مديراً للمؤتمرات في جامعة رين عام 1949 وجامعة تولوز عام 1957 ثم في جامعة ناتير عام 1965، غير انه كان الى جانب وظيفته الرسمية تلك مواضباً على تأليف الروايات الادبية بضمنها تلك الروايات التي كشفت عن خوفه من الاماكن المسيجة مثل: رواية (الموت مهنتي) عام 1953 و(فوق حقل اوزوتش) والجزيرة عام 1962، او تلك الروايات التي اتسمت باسلوب اكثر خفة وسلاسة مثل: (خلف زجاج النافذة) عام 1970. وقصة مروية عن احتلال صالة الاساتذة في 22/آذار/1968 في جامعة ناتير. اما رواياته الاستباقية التي تنطوي على حدس عال وتطرح اسئلة عن كيفية المحافظة على ارواح الجنس البشري مستقبلاً في ظل حروب عالم التكنولوجيا المتطورة فلقد نالت رواجاً كبيراً بضمنها: رواية (مالفيل) عام 1972، رواية (مادر ابور) عام 1976 التي تتحدث عن مجموعة من الاشخاص يحتمون دخل قصر بعد حرب نووية مدمرة. اضافة الى روايته التي تتحدث عن مغامرة تجري على متن احدى الطائرات بدون طاقمها وهي: (لن يطلع علينا النهار) عام 1986.

وحكاية.. روبورتاج حول الحياة على متن غواصة.. وبعد (حكايته) تلك كما يحلو لروبرت ميرل ان يسميها، شرع بتنفيذ حلمه الذي يرتكز على كتابة سلسلة من الروايات التاريخية اطلق عليها (ثروة فرنسا) والتي بدأ بكتابة الجزء الاول منها عام 1977 حينها اعترف علناً بان الخوف قد تملكه من اقدامه على كتابة الرواية وباسلوب ادب القرن السادس عشر غير ان نجاحه جاء فورياً فالجزء الاول لتأريخ عائلة "سيوررالك" في عصر النهضة امتعته كثيراً مما دفعه الى ان يمضي قدماً في كتابة جزء بعد آخر من تلك الرواية التاريخية الضخمة. اذ شهدت الاجزاء العشرة الاول اقبالاً غير مسبوق، وطبعت منها نحو (5) ملايين نسخة.

تابع روبرت ميرل كتابة سلسلته التأريخية حتى حلول عام 2003 وهي السنة التي شهدت ظهور الجزء الثالث عشر من ثروة فرنسا، تحت عنوان (الحسام والأحبة) فاستحق وهو بعمر 94 جائزة جان جنيو، اما في المانيا فلقد لقب ميرل بلقب (اكسندر دوماس القرن العشرين) بسبب قدرته السردية العالية وسلاسة اسلوبه وبالحس النقدي العالي الذي استقبلت به مؤلفاته.

غير انه اعترض على هذا اللقب خوفاً من ان يعرف كرجل تاريخ اكثر من ان يعرف رجل ادب.

ان ميرل الذي حاز على جوائز عديدة وشارة المحارب والأب لستة اولاد من ثلاث زيجات عاش عمراً يقارب 95 سنة وتوفي بالسكتة القلبية في 2004/3/30 ودفن في مونتغفور.

ترجمة: سعد هادي

خوان خمينث في "انا وحماري"
شاعرية الحياة والطبيعة الاندلسية

بندر عبد الحميد

استطاع الشاعر الاسباني خوان رامون خمينث 1881-1958 ان يجعل في بلدته الصغيرة المطلة على المحيط الاطلسي (مغير) في مقاطعة والبة اسما معروفا لدى اجيال من القراء في الغرب والشرق من خلال رائعته الشعرية المنثورة (انا ولاتيرو) التي تسجل يوميات حميمة وحوارات دافئة عن الطفولة والطبيعة والناس والفرح والحزن وكل المشاعر الانسانية لحية الاخرى.

في عام 1900 دعي خمينث مدريد للقاء روبن داريو شاعر نيكاراغوا الذي ظل رائدا للشعر الحديث المكتوب بالاسبانية حتى وفاته عام 1916 ولقي خمينث من داريو تشجيعاً واعجاباً بموهبته الشابة التي اتاحت له ان يحتل مكانة روبن داريو في ريادة الشعر الاسباني في العشرينات.

اعماله في ثلاث مراحل

اصدر خمينث اول اعماله الشعرين حين تجاوز العشرين من عمره، تحت عنوان (اغنيات) في ثلاثة مجلدات، ظهرت فيها قدرته على التجديد في الشعر الاسباني والاستفادة من الاغاني الشعبية او من موروث الشعراء الجوالين وفي تلك الفترة بدأ العمل في الصحافة الادبية فاشترك في تحرير صحيفة (الشمس) وتوالت اعماله في الصدور بعد ذلك، فنشر مجموعات شعرية منها (انغام حزينة) و(كآبة) و(مرثيات) و(القلب في اليد) و(قصائد روحية) و(يوميات شاعر حديث الزواج) و(حجر وسماء) و(رعويات). ويمكن القول ان خمينث مر بثلاث مراحل في حياته الادبية ولكنه ظل حريصاً على علاقته بالطبيعة ورصيد المشاعر الانسانية المختلفة.

طفرة العشرينات

في أوائل القرن العشرين كان في اسبانيا جيل من الكتاب الكبار الذين ارسوا قاعدة متينة لتحديث الأدب الاسباني، مثل اورتيغا اي غاسيت، واونامونو وبابيه انكلان وغالدوس، وانضم اليهم فيما بعد انطونيو ماشادو وخمينث وخورخيه غيين وساليناس، ثم البرتي ولوركا وتيرنو داورامون غوميث دي لا سيرنا. وكانت مدريد تعج بالمقاهي الادبية والتجمعات الثقافية والفنية ذات الاتجاهات المختلفة، ويذكر الذين عاشوا تلك الفترة مقهى خيخون وكاستيا وفورنوس وكوتوس، ومقهى لامونتانيا الذي كان يبدل طاولاته الصغيرة كلما لطخها الرسامون بألوانهم، كما يذكر السينمائي لويس بونويل في مذكراته، وهو الذي تربطه صداقة متينة مع لوركا ودالي واشترك مع دالي في اوائل ابداعاته السينمائية وكانت التيارات الادبية الاوروبية قد بدأت طريقها الى الأدب الاسباني.

رحلات طويلة

لم تكن حياة خمينث مستقرة فقد سافر الى اشبيلية لدراسة الرسم، بعد ان طور موهبته في اتجاه الرسم الانطباعي، ولكنه كان يعاني من متاعب صحية وعائلية، فسافر الى بعض البلدان الاوروبية المجاورة للعلاج، وكان يتردد بعدها في الاقامة بين مدريد وبلدته الاثيرة (مغير) الى ان تعرف على الكاتبة زنوبيا كمبروبي في مدريد ولحق بها الى الولايات المتحدة حيث تزوجا واشتركا في ترجمة الاعمال الشعرية لطاغور الى اللغة الاسبانية، وعادا الى اسبانيا، ثم اضطرا الى السفر مرة اخرى في رحلة طويلة حينما بدأت الحرب الاهلية الاسبانية عام 1936 وكانت سبباً في هجرة عدد كبير من الكتاب والفنانين وكان لوركا من اوائل ضحاياها.

كانت الرحلة هذه المرة طويلة استغرقت اكثر من عشرين عاما، قضاها خمينث متنقلا بين بورتريكو وكوبا والارجنتين والولايات المتحدة واورغواي، قبل ان يستقر في بورتريكو، وكانت هذه السنوات حافلة بنشاطاته الابداعية وكتاباته ومحاضراته، حتى توجت تلك النشاطات بفوزه بجائزة نوبل للأدب عام 1956 ولكن فرحه بالجائزة لم يتم اذ توفيت زوجته زنوبيا في الاسبوع الذي حمل اليه خبر الفوز بالجائزة، وانحسرت بعدها قواه الابداعية حتى توفي عام 1958 ودفن الى جنب زوجته في رابية تطل على بلدته الاندلسية الحميمة (مغير).

مرثية اندلسية

نشر خمينث اشهر اعماله عام 1914 وهو كتاب (انا وبلاتيرو). في الاصل (بلاتيرو وانا). ثم ظهرت الطبعة الكاملة لهذا الكتاب في عام 1917، وهو عبارة عن فصول صغيرة وصلت في طبعاتها الاخيرة الى مائة وثمانية وثلاثين فصلاً، بينما يختار المترجمون على هواهم من هذه الفصول، ويهملون فصولاً اخرى، فقد ظهرت في نيويورك طبعة مترجمة لهذا الكتاب عام 1958 من مائة وسبعة فصول، اما في العربية فقد ظهرت ترجمة مختصرة للدكتور لطفي عبد البديع عن دار المعارف بمصر عام 1956 بعنوان انا وحماري، ثم ظهرت ترجمة مختصرة اخرى عام 1960 في كتاب (شاعر اندلسي وجائزة عالمية) لعباس محمود العقاد واخيراً ظهرت ترجمة كاملة عن الاسبانية، نشرها انطوان خاطر في بيروت عام 1991.

وهذا الكتاب هو خلاصة رحلة طفولة عذبة مع حمار فضي صغير في حياة مفتوحة في بلدة مغير الجميلة، وهو في النهاية مرثية اندلسية حزينة لموت هذا الحمار، وهو اولاً واخيراً رمز للبراءة والبساطة التي يعيشها الاطفال والكبار في الطبيعة، وقد قيل عن هذا الكتاب انه نوع من الفروسية الجديدة بعد انتهاء عصر الفروسية، وصار (بلاتيرو) رمز البراءة، يتسابق الرسامون الى تزيين ملايين الكتب بتنويعات من صورته التي ابتكرتها مخيلة الشاعر، كما تحولت ذكراه الى دمى جميلة ملونة تعيد الى الأذهان صدى حكاياته.

عالـــم

كمال سبتي

العالمُ هذا ليسَ عالمَ
شعراء.
احملُ حقيبتين
بمعنى بيتٍ وماضٍ.
احملُ بيتاً وماضياً...
بيتٌ لا أرضَ له ولا
سقف. لا مطبخ ولا
سريرَ نوم. لكنّه
عمر.

وكلُّ عمرٍ هو ماضٍ.
وكلُّ ماضٍ هو ندم.

من أنتظر؟
برابرة كافافي؟
خلاصَ كوميديٍّ..

تجولُ في اوروبا،
فلا أبصرُ غيرَ رامبو
وأفريقياه.

لماذا رحلت الى افريقيا
يا آرثور رامبو؟
لبيع الاسلحة قالوا..
أيها التاجرُ للسلم
بقرآن أبيك قالوا..
أيها العربيُّ بـ "الله
كريم" على السرير في
المستشفى..
كم بقيَ لي من وقتٍ
كي أقوى على الكلام
وقد نسيتُ الكلام؟

ابصرك في هذه البلاد
المنخفضة غاضباً
مني
أبصرك شاتماً
وقد نسيت الكلام.

*جزء من كتاب جديد للشاعر بعنوان "بريدٌ عاجلٌ للموتى"، توثيقيٍّ، سرديٍّ وشعريٍّ، يصدر قريباً عن دار مخطوطات في هولندا.